أهداف الصهيونية وارتباطاتها ومخاطرها

ولكن الى أي مدى وصلت معرفة الفكر السياسي الفلسطيني، في تلك الفترة، بالصهيونية وأهدافها وارتباطاتها ومخاطرها؟

ان ما يلفت الانتباه، في هذا الصدد، هو ان الفكر السياسي العربي عموماً، والفلسطيني خصوصاً، كان مدركاً، الى حدّ كبير، لطبيعة الصهيونية، متنبهاً لحقيقة أهدافها، متحمساً لوجود روابط بينها وبين الدول الكبرى في اوروبا، ومقدّراً للنتائج التي ستترتب عن الصراع الذي سينشأ بينها وبين حركة القومية العربية ليس على صعيد المنطقة فحسب، بل وعلى صعيد العالم. ويبدو أن هذه المعرفة تكوّنت من خلال اطلاع المفكّرين والمثقفين العرب والفلسطينيين، وبخاصة اولئك الذين أُتيحت لهم فرصة العيش في اوروبا وتلقي التحصيل العلمي في جامعاتها، على الكتابات والنشاطات الصهيونية، وعبر الاحتكاك الملموس بالمشروع الصهيوني، الذي بدأت تتضح ملامحه على أرض الواقع مباشرة، وبخاصة مع وصول الموجة الثانية من الهجرة اليهودية الى فلسطين، اثر فشل ثورة ١٩٠٥ في روسيا وتصاعد مشاعر العداء للسامية فيها، تلك الموجة التي تميّزت بالحملات التي نظّمها أعضاؤها، خلف شعاري «احتلال الارض» و«العمل العبري»، لطرد العمّال والفلاحين العرب من المستوطنات اليهودية وفرض المقاطعة اليهودية الشاملة على المنتوجات العربية. فمنذ العام ١٩٠٥، أشار نجيب عازوري، في كتابه «يقظة الامة العربية»، الى الطابع المصيري للصراع بين حركة يقظة الامة العربية وبين حركة اليهود السياسية لاعادة انشاء ملك اسرائيل القديم، مقدراً بأن مصير العالم كله سيتوقف على النتيجة النهائية لهذا الصراع. وفي خريف العام ١٩٠٩، حذّر يوسف الخالدي من ان قيام دولة يهودية في فلسطين لا يمكن ان يتمّ دون اندلاع صراع دموي، نتيجة المعارضة الشديدة التي سيبديها العرب لقيام مثل هذه الدولة، مقترحاً، لحل مشكلة اليهود في اوروبا، ايجاد وطن قومي لهم خارج فلسطين[١٠]. ومنذ ذلك الحين، بدأت تظهر كتابات عربية عن الصهيونية، حيث قام نائب القدس في مجلس المبعوثان وخريج جامعة السوربون في باريس، روحي الخالدي، بتأليف كتاب باسم «تاريخ الصهيونية»، كما ألّف محمد المحمصاني، وهو من مؤسسي جمعية «العربية الفتاة» ومن حملة شهادة الدكتوراه في الحقوق من باريس، كتاباً باسم «دعاة الفكرة الصهيونية»[١١].

غير ان الدور الأبرز في حملة مناهضة الصهيونية لعبته الصحافة العربية الفلسطينية، وفي مقدمها جريدة «الكرمل»، وجريدة «فلسطين» لصاحبها عيسى العيسى. فقد أفردت جريدة «الكرمل» مساهمات واسعة من اعدادها لعشرات المقالات والتعليقات، التي عرّفت بالصهيونية وأهدافها، ونبّهت الى مخاطر مشروعها، من ضمنها سلسلة كاملة، احتوت على ثلاثة عشر مقالاً، مأخوذة عن «الانسيكلوبيديا اليهودية»، نشرتها تحت عنوان: «الصهيونية، تاريخها، غرضها، أهميتها»[١٢]، قبل ان تصدر في كتاب خاص.

فعن نشأة الحركة الصهيونية، ورد في أحد المقالات التي نشرتها «الكرمل»، في مطلع ربيع العام ١٩١١: «ان المسألة الصهيونية نتيجة نظرية تمت منذ ١٥ سنة أوجدها الداهية الدكتور هرتسل الموسوي. جاهد الدكتور هرتسل بقلمه ونشرياته، فنجح في تعميم هذه الفكرة بين أبناء جلدته الضاربين في اوروبا واميركا، ودعا أغنياءهم لتشكيل حكومة اسرائيلية. ولأجل تقرير هذه الفكرة عقد اجتماعاً في [بازل] في بلاد سويسرا، ومن بعدها صاروا يعقدون اجتماعاً كل سنتين. [وان] الاراضي المقدسة وما يجاورها هي بيت قصيد الصهيونيين، لأنها وطنهم القديم ونشأوا وصاروا